مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب
Issn:2572-0058/E-issn:1969-2676
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/485

المجلد: 08 العدد: 01 جانفي (2024) ص 135/ 144

الخلفيات الإبستمولوجية للمصطلح اللساني من خلال جهود مصطفى غلفان

Epistemological backgrounds of the linguistic term through the efforts of Mustafa Ghalfan

نور كتفي *
جامعة محمد البشير الإبراهيمي -برج بوعريريج (الجزائر)
مخبر معجم المصطلحات اللغوية والبلاغية في التراث العربي -جامعة سطيف 2-
nour.ketfi@univ-bba.dz

رحماني زهر الدين
جامعة محمد البشير الإبراهيمي -برج بوعريريج (الجزائر)
zaherddine.rahmani@univ-bba.dz

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2023/02/20
تاريخ القبول:
2023/10/09

الكلمات المفتاحية:
- ✓ إبستمولوجيا
- ✓ لسانيات
- ✓ مصطلح
- ✓ بنيوية
- ✓ غلفان

الملخص:

تعدّ المصطلحات التّمثّل الصّريح والحقيقي للمفاهيم، والأداة التعبيريّة للمعرفة والعلوم، لذلك استصغت وصف مفاتيح العلوم، تحمل في طيّاتها محمولات دلاليّة مفهومية، تستند إلى خلفيات ابستيميّة خاصة.
من هذا المنطلق يروم المقال للكشف عن هذه الخلفيات الابستيمية للمصطلح اللساني عند العرب قديما وحديثا من خلال جهود مصطفى غلفان، لذا سنتطرق بتعريف الأسس الابستمولوجية التي قام عليها المصطلح اللساني من خلال شرحه ومعرفة خلفياته وتحليل أبعاده وتتبع آثاره وقد سعينا أن تكون الدراسة مقتصرة لأهم المصطلحات التي عرضها غلفان في اللّسانيات البنيوية، ولتحقيق هذا ارتأت الدراسة وفق المنهج الوصفي، من خلال تتبع إبستيمية المصطلحات، والمنهج الاستقرائي باستقراء مجموعة من كتاباته، لنتوصل في نهاية الدراسة إلى تبيان أثر الإبستيمية في تعدّد المصطلح اللساني.

Article info

Received
20/02/2023
Accepted
09/10/2023

Keywords:
- ✓ *epistemology*
- ✓ *linguistic*

Abstract :

Terms are an explicit and genuine representation of concepts and the expressive tool of knowledge and science, and thus I opted to describe the keys of science. They carry conceptual semantic loads based on special epistemological backgrounds.
From this point of view, the article aims to reveal these epistemological backgrounds of the linguistic term in Arabs, in ancient and modern times, through the efforts of Ghalfan. Therefore, we will address the definition of the epistemological foundations on which the linguistic term was based by

* المؤلف المرسل

explaining it, knowing its background, analyzing its dimensions, and tracing its effects. We have endeavored to limit the study to the most important terms that Ghalfan has presented in structural linguistics. To achieve this, the study adopted the descriptive approach, as well as the inductive approach, to show at the end of the study the impact of epistemology on the multiplicity of linguistic terminology .

✓ *term*
✓ *structuralism*
✓ *Mustafa Ghalfan*

1: مقدمة

يكاد يجمع أغلب الباحثين على اعتبار سنة 1916م تاريخ ميلاد اللسانيات الحديثة، وهي السنة التي ظهر فيها كتاب "دروس في اللسانيات العامة" "cours de linguistique general" للغوي السويسري فير دي ناند دو سوسير f.de Saussure المتوفي سنة 1913 (حليلي، 1991، ص14). والجدير بالذكر هنا أنّ اللسانيات لم تكن وليدة اللحظة إنّما كانت نتاج تراكم الدراسات اللغوية السابقة ولهذا نجد أنّ المصطلح اللساني لم يكن ثابت وإنما كان متعدد ومتشعب سواء في الدراسات اللغوية القديمة أو الحديثة وأدّى هذا التعدد إلى إشكالية فهم وضبط المصطلح اللساني لدى الدراسين الّذين تعوّدوا على تلقّي هذا العلم من خلال الكتابات العربية حتّى صارت المصطلحات اللسانية بابا من أبواب الدرس اللساني له ما للسانيات من ملامح وسمات. ومن هذا المنطلق، ارتأينا أن نتناول في ورقتنا هذه موضوعا موسوما بالخلفيات الإبستمولوجية للمصطلح اللساني من خلال جهود مصطفى غلفان، فكان هدفنا الكشف عن الخلفيات الابستيمية للمصطلح اللساني عند العرب قديما وحديثا من خلال جهود اللساني مصطفى غلفان في دراسته لهذا المجال ووقع اختيارنا على هذا الأخير لأنّه هو الذي قام بالتحليل النقدي للتجربة اللسانية وذلك من خلال رصد الجوانب التاريخية والنظريّة المتعلّقة بها. ودوره أيضا في شرح كيفية تعامل لسانيو البنيوية مع المصطلح اللساني البنيوي، حيث تبلورت إشكالية بحثنا في مجموعة من التساؤلات منها:

- ماهي الأسس الإبستمولوجية للمصطلح اللساني؟
- كيف شخّص غلفان واقع المصطلح اللساني؟
- ما جهوده في التمييز بين المصطلحات والحد من الفوضى المصطلحية؟
- ما أثر الإبستيميّة في تعدّد المصطلح اللساني البنيوي؟ ما مرجعية غلفان في تعامله مع المصطلح اللساني؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات اعتمدنا على منهجية وصفية استقرائية من أجل تبيان آليات التحليل للمصطلح اللساني واستقراء مجموعة من كتاباته المتمثّلة في: اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، في اللسانيات العامة، اللسانيات البنيوية، وسار بحثنا أساسا وفق ثلاث مباحث، ففي المبحث الأوّل قدّمنا تعريف كل من مصطلحي الإبستمولوجيا والمصطلح اللساني، وتناولنا في المبحث الثاني الإطار الإبستمولوجي للمصطلح اللساني عند العرب قديما وحديثا، أمّا في المبحث الثالث فتطرّقنا بالحديث عن جهود مصطفى غلفان في التمييز بين المصطلحات اللسانية العربية القديمة والحديثة، وواقع المصطلح اللساني البنيوي وأثره في تعدد المصطلح اللساني.

2: الإبستمولوجيا والمصطلح اللساني

قبل الخوض في دراسة الخلفيات الفكرية للمصطلح اللساني يجدر بنا الإشارة أوّلا إلى التعريف الإصلاحي لمفهومي الإبستمولوجيا والمصطلح اللساني. لكي تتّضح لنا معالم هذين المصطلحين.

1.2 الإبستمولوجيا

الإبستمولوجيا epistomologie": مصطلح لساني جديد لم يكن بروزه في المعاجم العربية القديمة ونجده قليل الاستعمال في المعاجم العربية الحديثة من بين المعاجم التي تطرقت للشرح اللغوي لهذا المصطلح نجده في قاموس أكسفورد: "تركز الإبستمولوجيا على طبيعة وأصل وحيّز المعرفة، وهكذا تفحص العناصر المحددة للمعرفة ومصادرها وحدودها، إنّها دراسة لطبيعة المعرفة وآليات تبريرها، وعلى وجه التخصيص دراسة لـ: المكونات المحددة للمعرفة، شروطها ومصادرها الجوهرية، حدودها وآليات تبريرها" (العلوي والملاخ، 2009، ص21) فقد صيغت من كلمتين يونانيتين "epistume، ومعناها "علم" و logos ومن معانيها علم، نقد، نظرية، دراسة... فالإبستمولوجيا، إذن، من حيث الاشتقاق اللغوي هي "علم العلوم" أو الدراسة النقدية للعلوم" (الجابري، 2002، ص18) وهذا التعريف يخص المعنى اللغوي حيث نجد هذا الأخير يقترب من المعنى الاصطلاحي فيعرّف "لالاند" lalande في معجمه الفلسفي الإبستمولوجيا بأنّها "فلسفة العلوم" ثمّ يضيف: "ولكن بمعنى أكثر خصوصية فهي ليست بالضبط، دراسة المناهج العلمية، وهذه الدراسة الّتي هي موضوع الميتولوجيا والّتي تشكّل جزءا من المنطق، وليست كذلك تركيبا أو استباقا للقوانين العلمية وإنّما هي الدراسة النقدية لمبادئ مختلف العلوم ولعروضها ونتائجها، بأصل تحديد أصلها المنطقي (لا السيكولوجي) وبيان قيمتها وحصيلتها الموضوعية" (الجابري، 2002، ص18) من خلال تعريف "لالاند" يتّضح لنا أنّ الإبسمولوجيا هي معرفة أصل العلوم وذلك بتحديد خلفياتها وأسبابها ونتائجها.

2.2 المصطلح اللساني

يُعرّف بأنّه "لغة خاصة ومعجم قطاعي يُسهم في تشيّد بنائه ورواجه أهل الاختصاص في قطاع معرفي معيّن ولذلك استغرق فهمه واستعماله على من ليس له دراية بالعلم الّذي هو أداة لابلاغه" (الفهري، 1985، ص396) وهذا يعني أنّه "اتفاق جماعة من العلماء على أمر مخصوص" (لعبيدي، 2012، ص19) إذْ الاتفاق يكون بين أهل المتخصّص في مجال معين على مصلح واحد وهذا يعني أنّ جماعة من النحويين نتج عنهم مصطلح نحوي وجماعة من اللسانيين نتج عنهم مصطلح لساني، إذن فالمصطلح اللساني هو الّذي يختص بمعرفة لسانية ولغوية، تتوفّر في شروط الدقة والضبط ويتواجد في إطار جهاز مفاهيمي هو اللسانيات حيث " يُشير إلى هويّة المصطلح باعتباره تقييدا له بكونه لسانيا، يمكن أن يكون مظلة بحثية، تضم تحت جناحيها أعمالا علمية تبحث في المصطلحات اللسانية لا في المصطلحات العلمية" (استيتية، 2008، ص40).

استنادا مما سبق يتّضح أنّ ابستمولوجية اللسانيات – نخص بالذكر المصطلح اللساني– هي تلك الكتابات اللسانية التي تتّبع الدراسات اللّغويّة، منذ عصر النهضة، وذلك بمعرفة أصلها اللغوي من خلال البحث في مصادرها الأصلية وأسسها النظرية والمنهجيّة ومناقشة عوائقها وإشكالاتها.

3: الخلفيات الفكرية للمصطلح اللساني:

إنّ الحديث عن المصطلح اللساني يقتضي الحديث في البداية عن تطور مصطلح اللسانيات ولفظ اللسانيات في ذاتها لأنّ هذه الأخيرة هي العمود الأساسي الّذي تشكل منه المصطلح اللساني لذا سنتتبع بدراسة تطور لفظ اللسانيات عند العرب قديما وحديثا.

1.3. عند العرب القدامى:

يُعدّ القرآن الكريم صاحب الفضل في ظهور الدراسات اللغوية عند العرب، وذلك بعد شيوع ظاهرة اللحن من خلال القراءات القرانية ويرجع الفضل في وضع اللبنات الأولى وكشف هذه الظاهرة –ظاهرة اللحن– " لأبي الأسود الدؤلي" من خلال نقطه للقران الكريم حسب حركات أواخر الكلمات "إنّ أبا الأسود وضع النحو فقد كان يقصد شيئا من هذا، وهو أنّه وضع الأساس بضبط المصحف حتّى لا تكون فتحة موضع كسرة، ولا ضمّة موضع فتحة، فجاء بعد من أراد أن يفهم النحو على المعنى الدقيق، فاخترع تقسيم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف" (أمين، 2012، ص608) حيث ارتكزت الدراسات اللغوية على النحو الّذي كان المظهر الأوّل لها، وهذا لا يعني أنّ الدراسات اللّغوية اقتصرت فقط على النحاة، بل هناك من أولوا اهتمامهم بالدراسات اللغوية من قبيل الرواة والأصوليين وحتّى الفلاسفة، (معزوز، 2017، ص18) وهو الأمر الّذي جعل المصطلحات الّتي تطلق على هذا العلم تتعدد منها العربية، علم العربية، النحو، علم اللغة، فقه اللغة، علم اللسان حيث تتردد هذه المصطلحات في التراث اللغوي العربي للدلالة على دراسة اللغة العربية أو بعض جوانبها دراسة علمية منظّمة (حلمي، 1992، ص23) ويعدّ مصطلح العربية أوّل مصطلح استخدم لدراسة الظواهر اللغوية، حيث تميّزت هذه الدراسة بالشمول "أي دراسة اللغة العربية صوتيا وصرفيا ونحويا ودلاليا، ومن خلال هذه النظرة الشاملة القائمة على أصول ومبادئ نظرية تحليلية" (بوقرة، 2009، ص203) ويُعدّ عبد الرحمان بن المرمز أول من وضع العربية (معزوز، 2017، ص19). وهناك من استخدم مدلول "فقه اللغة" كابن فارس والثعالبي فهما استعملا لفظة فقه من خلال كتابيهما "الصاحبي لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت395)، و"فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور الثعالبي " حيث تناول كلّ منهما دراسة المفردات والتراكيب في اللغة العربية وبعض القضايا والمسائل اللغوية عامة (حلمي، 1992، ص12)، واستخدم مصطلح "علم اللغة" السيوطي جلال الدين في كتابه "المزهر في علوم اللغة وأنواعها" حيث نجده قليل الاستعمال لأنّه يختص بدراسة الألفاظ ومدلولاتها وتصنيفها في معجمات وكتب، فهو يقابل مصطلح "علم التصريف" الخاص بدراسة بنية الألفاظ كما أشار ابن خلدون وغيره (داوود، 2001، ص84). ويُعد أبو نصر الفارابي (ت399هـ) أوّل من استعمل مصطلح "علم اللسان" في كتابه إحصاء العلوم (بوقرة، 2009، ص206) وهذا الأخير أيضا قليل الانتشار في الدراسات العربية القديمة.

2.3 عند العرب المحدثين:

ظهر مصطلح اللسانيات في ألمانيا Linguistik، لكن بلفظ Sprachwissenschaft كان أقدم منه وأكثر استعمالا ثم استعمل في فرنسا linguistique ابتداءا من سنة 1826، ثمّ في إنجلترا linguistics ابتداءا من سنة 1855 (حاج صالح، 1972، ص29)، حيث وجد القارئ العربي من مشرقه الى مغربه مشاكل اصطلاحيّة وأوّلها هنا مصطلح اللسانيات فقد بلغت المصطلحات المعرّبة والمترجمة لمصطلح Linguistique ثلاثة وعشرين مصطلحا وفق ما أورده الدكتور عبد السلام المسدي وهي "اللانغويستيك، فقه اللغة، علم اللغة، علم اللغة الحديث، علم اللغة العام، علم اللسان، علم اللسان البشري، علم اللسانة، الدراسات اللغوية الحديثة، الدراسات اللغوية المعاصرة، النظر اللغوي الحديث، علم اللغويات الحديث، اللغويات الجيدة، اللغويات، الألسنية، الألسنيات، اللسانيات" (المسدي، 1984، ص22) وهذا التعدد أدّى الباحثين ينشغلون بعنوانه أكثر من مضمونه، ويحدد أحمد محمد

قدور أنّ واقع اللسانيات العربية مرّ بمرحلتين "المرحلة الأولى امتدت من صدور كتاب الدكتور علي عبد الواحد الوافي "علم اللغة" في مطلع الأربعينيات إلى بدء عقد السبعينيات على حين أنّ المرحلة الثانية بدأت مع السنوات الأولى من السبعينيات ولا تزال مستمرة حتى يومنا هذا" (محمد قدور، د س، ص37) فالملاحظ هنا أنّ أزمة المصطلح اللساني ومشكلاته كانت نتاج المرحلة الثانية الّتي شهدت توسّعا مطردا في الترجمة والتأليف والتطبيق (محمد قدور، د س، ص37). حيث أدرك القارئ ولاشك أن يستعمل لفظة اللسانيات تارة وعبارة علم اللغة تارة أخرى عبارة الدراسات اللغوية الحديثة قاصدين بها في جميع الحالات الدراسة العلمية للغة وتحديدا ما يسمى اللسانيات ومن العوامل الّتي أدّت إلى هذا التّعدّد حسب رأي غلفان أوّلها" يرجع لطبيعة الدرس اللسان العربي ذاته، باعتماده من جهة أولى التراث اللغوي القديم المليء بالمصطلحات اللغوية الّتي تستعمل اليوم في لباس جديد مثل فقه اللغة، علم اللغة، علم اللسان، ومن جهة ثانية رجوع الدرس اللساني العربي المعاصر للفكر اللساني الغربي بمختلف مصادره اللاتينية والسكسونية وغيرها (غلفان، 2006، ص150).

من خلال ما تم ذكره يتبيّن أنّ المصطلح اللساني سواء عند العرب قديما أو حديثا اتّسم بالتعدّد وهذا راجع إلى الخلفيات الفكرية لدارسي الدراسات اللغوية، فالعرب قديما كانت خلفيتهم راجعة إلى الدراسات الفقهية المتمثّلة في القرآن أما العرب حديثا فمنهم من وظّف المصطلح من خلال ما شهد به العرب قديما، ومنهم من تأثر بخلفية سوسيريّة واعتمد فقط على المصطلحات الّتي ظهرت حديثا في اللسانيات السوسيريّة.

4: جهود غلفان المصطلحية وصفا وتقويما واقتراحا

سنحاول من خلال هذا المبحث عرض تجربة مصطفى غلفان في تقويمه الإبستمولوجي للمصطلح اللساني بدءا من استدراك أهم المنطلقات اللسانية التي تطرق إليها مصطفى غلفان مرورا في محاولة جهوده بالتمييز بين المصطلحات اللسانية.

1.4. القوام الإبستمولوجي في تجربة مصطفى غلفان

يندرج مجهود مصطفى غلفان في الدرس اللساني من خلال تتبع الدرس اللساني الغربي وذلك بشرحه ومعرفة خلفياته حيث عرض بالتفصيل للأطر النظرية اللسانية الغربية والتّغيّرات التي عرفتها في نظمها الأصليّة ليصل إلى الكشف عن خصوصيات الكتابة اللسانية في الثقافة العربية، ممّا أدّى به إلى التحليل النقدي للتجربة اللسانية في الثقافة العربية الحديثة حيث تتبّع بالبحث والتحليل والتقويم مختلف اتّجاهات البحث اللساني العربي بالكشف عن موضوعاتها ومناهجها وغاياتها وهي أمور تدخل في عمق التحليل الإبستمولوجي، (العلوي والملاخ، .....، ص292) إذ تبلورت كتاباته في اللسانيات العربية بين ثلاث اتجاهات أساسيّة اتجاه بنيوي وصفي، اتجاه توليدي تحويلي، اتجاه تداولي وظيفي، ومن هذا المنطلق نجد في كتاباته اسهامه في قضيّة المصطلح اللساني، ففي كل جزء من كتاباته يشير إلى قضيّة المصطلح اللساني، وهذا ما نجده في كتابه "اللسانيات العامة" ففي الفصل الثامن، قام بتحديد المصطلح والمجال حيث واجه صعوبات في تحديد مصطلح اللسانيات ومن بين هذه الصعوبات حسب رأيه (غلفان، 2010، ص183):

- وجود اختلافات منهجية ومعرفيّة في الأهداف المتوخّاة من وراء الدرس اللساني البشري
- الخلط الحاصل بين اللسانيات وممارسات أخرى تتناول هي أيضا دراسة اللغة مثل فقه اللغة والنحو والفيولوجيا.

كما ورد في كتابه الموسوم " اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة –حفريات النشأة والتكوين- الحديث عن إشكالية تسمية مصطلح اللسانيات بين المفهوم والمصطلح. وأيضا تتبّعه في كتابه " اللسانيات البنيويّة" لواقع المصطلح اللساني البنيوي.

2.4. جهود مصطفى غلفان في التمييز بين المصطلحات اللسانية

لمحنا فيما سبق عن بعض عوامل تعدد المصطلح اللساني لكي تكون لدينا رؤية واضحة في التمييز بين المصطلحات في اللسانيات الحديثة التي تطرق اليها مصطفى غلفان ألا وهي علم الفيولوجيا، فقه اللغة، علم اللغة، حيث بيّن مواطن الاختلاف والتداخل بينها من أجل الكشف عن الخلفية الإبستيمية لظهور مصطلح اللسانيات عند العرب المحدثين.

يُشير مصطفى غلفان أنّ هناك خلط حاصل بين اللسانيات والمصطلحات الأخرى التي تهتم بدراسة اللغة من قبيل: فقه اللغة، النحو، الفيولوجيا، فإنّ حديثه عن اللسانيات يتطلب منه توضيح هذا الخلط لتسهّل مهمّة التعريف باعتبار أنّ هذا التوضيح نفسه مساهمة هامة في تعريف اللسانيات.

يُوضحّ بأنّ اللّسانيات ليست الفيولوجيا –كما يعتقد البعض- حيث هذه الأخيرة لا تهتم باللّسان من حيث أنّه منظومة من المستويات اللغوية القائمة في ذاتها بل تهتمّ بلغة النصوص لمعرفة المضامين التاريخيّة والأدبيّة وما تحتويه من المعطيات الحضاريّة المتّصلة بالنّصوص الّتي تتم معالجتها (العادات، التقاليد، الثقافة، الدين) (غلفان، 2010، ص186) وتوصل أيضا أنّ هناك فرق بين اللسانيات والفيولوجيا لذلك لا نستطيع مقابلة اللسانيات بالفيولوجيا وتكمن هذه الفروق فيما يلي: (غلفان، 2010، ص188).

- أنّ موضوع الفيولوجيا هو اللغة باعتبارها وسيلة إلى غايات أخرى أمّا اللسانيات فتدرس اللسان لذاته ومن أجل ذاته،
- حيث تهتم الفيولوجيا باللسان المكتوب بينما اللسانيات تهتم باللسان المنطوق،
- تفتقر الفيولوجيا إلى طابع التّقنين والصّياغة الشكلية للقوانين، على عكس اللسانيات التي تسعى إلى التّقنين والتقعيد الصّوري.

وقال أنّ اللسانيات ليست هي النحو بحيث يتكفّل النحو بدراسة البنيات اللغوية لوضع القواعد على عكس اللسانيات، وكونه أيضا مقاربة معياريّة، إذ النحو لا يهتمّ باللسان كواقع وإنّما باللسان النموذج، حيث يسعى النحوي بالدرجة الأولى إلى وضع القواعد الصحيحة الّتي يسير عليها اللسان، أمّا اللسانيات فهي بالأساس رؤية وصفية للقواعد اللغوية المدروسة من دون إصدار الأحكام القيمية إذ يقول: "النحو في هذا المنظور التقليدي ليس بنية متأصّلة في اللّغة أو أنّه مجموعة من القواعد الّتي بحد ذاتها تكوّن اللغة، النحو يدرس فنّ التواصل الناجح وفنّ الكلام بطريقة نعبّر فيها عن الفكر بشكل كامل وواضح عن طريق صيغ التعبير التي نختارها، أمّا اللسانيات فتقف عند حدود الوصف والتفسير، تعاين وتلاحظ ثمّ تصف ما هو كائن في بنيات لغوية، محاولة إيجاد التفسير العام للتراكيب النّحوية وغير النحويّة على سواء" (غلفان، 2010، ص192).

ويعتقد أنّ عبارة علم اللغة ملتبسة وغير دقيقة، في مقابلتها لمصطلح اللسانيات، لأنّها لا تشمل اللسانيات فقط بل كلّ العلوم التي تتناول اللغة من بعيد أو قريب، لأنّ اللغة ليست من اختصاص اللسانيات فقط بل هي تشمل جميع المجالات بما فيها الفيزياء علم النفس والمنطق والرياضيات، لأنّ هذه المجالات المعرفيّة تدرس اللغة أيضا دراسة علميّة (غلفان، 2010، ص193)، وأنّ تسمية الدراسات اللغوية

الحديثة بعلم اللغة لم تصبح متداولة بشكل عام إلا مع ظهور كتاب علي عبد الواحد وافي. وقد اعترض على هذا المصطلح "علم اللغة" الأستاذ عبد الرحمان حاج صالح، ودعا إلى اتخاذ مصطلح آخر ألا وهو "اللسانيات" (حساني، 2013، ص23)، واقترح هذه الصيغة قياسا على صيغة الرياضيات التي تفيد العلمية، ويرى عبد الرحمان حاج صالح أنّ هذا المصطلح يصلح أن يكون مقابلا دقيقا للمصطلح الأجنبي linguistique، لأنّه مشتق من موضوعه وهو اللسان، إذ يتضمن مصطلح اللسانيات "علم + اللسان". علم موضوعه اللسان البشري (حساني، 2013، ص24). والجدير بالذكر هنا أنّ مصطفى غلفان لم ينبه بأنّ عبد الرحمان حاج صالح هو أول من وضع مصطلح اللسانيات بل اكتفى فقط بذكر البلد –الجزائر– حين أصدر معهد الدراسات الصوتية واللسانية بمدينة الجزائر مجلة "اللسانيات".

حيث تمت الموافقة على هذا المصطلح في جامعات دول المغرب العربي وفي سوريا، في الوقت الذي فضل فيه باحثون اخرون مصطلحات اخرى مثل الألسنية وأوّل من استعمل هذا اللفظ هو الأب مرمرجي الدومينيكي في مقالة نشرها بمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، ثم مجلة اللغة العربية بالقاهرة تحت عنوان: الثنائية المعجمية في الألسنية السامية (غلفان، 2013، ص149) وتبعه في تسمية هذا المصطلح كلّ من ريمون طحان، أنيس فريحة، عبد السلام المسدي.

يقرّ غلفان على أنّ مصطلح اللسانيات هو الأنسب في التسميّة لأنّه يُحدد معالم المعرفة اللغويّة الّتي تندرج فيه أو تحيل عليه، ويؤكد على ضرورة توحيد المصطلح إذ يعتبر الخطوة الأساسية لتحقيق الدقّة المنهجية في الكتابة اللسانية العربية الحديثة، وهذا ما التزم به في كتاباته إذ نجده يستعمل مصطلحا واحدا ألا وهو اللسانيات، فنراه أنّه يُوجه ويُطبّق أثناء كتاباته في نفس الوقت.

5: واقع المصطلح اللساني البنيوي

من المبادئ التي تقوم عليها اللسانيات وبالخصوص اللسانيات البنيوية اعتبرها اللسان بنية؛ والبنية هي "نظام يعمل وفق مجموعة من القوانين لا تمتلك العناصر اللغوية إلا مجموعة من السمات" (دبة، 2001، ص39) ، هذا المصطلح الّذي ظهر مع ظهور اللسانيات الوصفية لدى سوسير، حيث اشتق منه عدة ألفاظ منها بنيوي، بنوي، بنيويّة، إذ يميز بين اللسانيات البنيوية؛ بنيويتين، بنيوية أوروبيّة التي ترجع أصولها إلى فكر سوسير إذ تسعى إلى إنجاز نظريّة حول النص باعتباره منتهيا ومغلقا (دبة، 2001، ص40)، وبنيويّة أمريكية ترجع إلى بوعاز وسابير وبلومفيلد حيث تستخلص البنية في التصوّر اللساني الأمريكي من الكلام الملموس عن طريق الاستقراء (غلفان، 2013، ص72)، فهذا الإختلاف من ناحية المفهوم أدّى إلى الإختلاف في التسميّة.

فقد سعى مصطفى غلفان في تعامله مع المصطلح اللساني البنيوي في تتبعه بدقّة وهذا من خلال ما عرفه من تطورات كبرى في أسس النّظريّة والمنهجيّة وبدا له أنّ المصطلحات في اللسانيات البنيويّة من وظيفية وغلوسيماتية وتوزيعية مصطلحات مختلفة فيما بينها يقول "من الواضح جدا أنّ لساني القرن العشرين لم يتداولوا معجما لسانيّا موحّدا، بل كان كلّ فريق منهم في أوروبا وأمريكا متشبثا بمفاهيمه ومصطلحاته ومواقفه، وقد جاء هذا الوضع نتيجة تطوّر اللسانيات الحديثة على شكل جماعات محليّة أو إقليميّة ودوائر فكريّة مستقلة بعضها عن بعض وأحيانا كثيرة منغلقة على نفسها" (غلفان، 2013، ص441)؛ يُشير إلى أنّ هناك اختلاف في المصطلحات بين اللسانيات البنيوية الأوروبية والأمريكية حيث تعدى هذا الإختلاف إلى 75 بالمئة فالروابط المركبية تسمى علاقات "relations" عند هلمسليف وتجاورا contiguite عند جاكبسون، وتصادرا contraste عند مارتيني، أما العلاقات النظامية les relations

syntagmatiaues فهي ترابطات correlations عند هلمسليف وتجانسات عند جاكبسون، وتعارضات عند مارتينيه (غلفان، 2013، ص68)، ويؤكد على أنّها هذا الاختلاف الاصطلاحي ليس من عبث وإنّما نتاج منطلقات وخلفيات فكرية منها المنطق الفلسفي " فاللسانيات الأمريكية منذ قيامها كاتجاه قائم الذات على يد بلومفيلد تأثرت بالنظرية السلوكية في علم النفس، وبالوضعية المنطقيّة الّتي ترى أنّ التجربة أساس الإدراك" (غلفان، 2013، ص76)، إضافة إلى ذلك تصور طبيعة اللغة فاللسانيات الأمريكية اهتمت بوصف الألسن الهنديّة على خلاف اللسانيات الأوروبية التي تعود جذورها الأولى إلى العهد اليوناني في القرن الثالث قبل الميلاد (غلفان، 2013، ص76). وأيضا طريقة العمل والمنهجية ففي الوقت الذي تهتم فيه حلقة براغ باللسان والكلام والوظيفة بالمفهوم السوسيري، لا تهتم الغلوسيماتية إلاّ بمفهوم اللسان الذي أُعدت صياغته صياغة صوريّة متخليّة عن الاعتبارات النفسية والاجتماعية التي تضمّنها مفهوم اللسان وتحديد خصائصه عند سوسير. هذا يعنى أنّ المصطلحات اللسانية الغربية كانت تتّسم بالتعدد، وهذا راجع إلى تعدد خلفياتهم الفكرية والمنهجيّة. لكن على الرغم من الإختلاف في التسمية فهي تحمل نفس المبادئ والأسس. حيث تحيل على الممارسة نفسها وتتناول المفاهيم نفسها من خلال مصطلحات مغايرة.

القارئ والمتمعّن لكتابات مصطفى غلفان سيلاحظ أنّ هذا الأخير، أثناء توظيفه للمصطلح اللساني سواء كان بنيوي أم غير ذلك، فهو يعتمد على الترجمة المختلفة تارة؛ ترجمة فرنسية نحو: لسانيات تقابليّة linguistique constractive، النسق systeme، الصواتة phonologie، وتارة أخرى؛ ترجمة إنجليزية نحو: التركيب syntax، الإعراب parsing، محمول predicat، فإن تحدث عن المدرسة الاوروبيّة فيستعمل الترجمة الفرنسية وإن تطرق إلى المدرسة الامريكية فهو يعتمد على الترجمة الإنجليزيّة، حتى المراجع التي اعتمد عليها أغلبيتها مراجع أجنبية، وهذا دليل على أنّ مصطفى غلفان له مرجعيّة سوسيريّة غربيّة، فعلى الرغم من قيمة التراث وثروته اللغويّة إذْ يعتبر جوهر الدراسات إلى أنّ غلفان أهمل ذلك واعتمد في مصطلحاته ومفاهيمه على مفاهيم سوسيريّة، وخير دليل كتابه الذي نشأ مؤخرا الموسوم باللغة واللسان والعلامة عند دي سوسير.

6: الخاتمة

مما تقدّم بيانه وشرحه في ورقتنا توصلنا إلى جملة من النتائج وهي:

– أنّ الإبستمولوجيا هي أصل المعرفة وذلك بتحديد خلفياتها، فإبستمولوجية المصطلح اللساني ليس ثابتة على خلفيّة معرفيّة واحدة وإنّما متعدّدة بتعدد الدراسات والمذاهب.

– إنّ المصطلح اللساني في الثقافة العربية الحديثة اتسّم بالتعدد نتاج تلقيهم لهذا العلم، فمنهم من تلقى هذا الأخير من علماء العرب وشيوخها، فأولوا اهتمامهم بالمصطلحات التي كانت سائدة قديما إذ تعتبر مرجعتيهم مرجعية فقهية، ومنهم من تلقّاه من خلال الثقافة الغربية عن طريق الترجمة والتأليف ومن هنا تعد خلفيتهم خلفية سوسيريّة.

– المصطلح اللساني البنيوي الغربي أيضا اتسم بالتعدد، وهذا يوحي أنّ العرب ليس وحدهم من تعددت مصطلحاتهم إنّما الغربيون أيضا لهم مصطلحات مغايرة تحمل نفس المفهوم وهذا نتاج تعدد خلفياتهم الفكريّة والمنهجيّة المتمثلة في المنطق الأرسطي وطبيعة تصوّرهم للغة.

– تتمثل مرجعية غلفان في تعامله مع المصطلح اللساني مرجعية سوسيرية بحتة، ويتبيّن ذلك من خلال تأليفه وانشغاله على اللسانيات الغربيّة.

– توصي الدراسة بأن تكون هناك جهود مجهود غلفان في تأسيس المصطلح اللساني وضرورة الوعي بأهميّة المصطلحات أثناء تأسيس المؤلفات بالإشارة إلى مرجعيتها ثم الوقوف على أنسب المصطلح.

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب:

1. أحمد أمين، ضحى الإسلام، (2012)، ج2، دط، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، (مصر).
2. أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، (2013)، ط2، سلسلة الكتاب الجامعي، (دبي).
3. أحمد محمد قدور، (د س)، مبادئ اللسانيات، ط3، دار الفكر، دمشق، (سوريا).
4. بوعبد الله لعبيدي، (2012)، مدخل إلى علم المصطلح والمصطلحية، دط، دار الأمل، تيزي وزو، (الجزائر).
5. حافظ إسماعيلي العلوي، محمد الملاخ، (2009)، قضايا إبستمولوجية في اللسانيات، ط1، دار العربية للعلوم، بيروت، (لبنان).
6. خليل حلمي، (1992)، مقدمة لدراسة فقه اللغة، دط، دار المعرفة الجامعة الإسكندرية، (مصر).
7. سمير شريف استيتية، (2008)، اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، ط2، عالم الكتب الحديث، (لأردن).
8. الطيب دبة، (2001)، مبادئ اللسانيات البنيوية دراسة تحليلية ابستمولوجية، ط1، دار القصبة، (الجزائر).
9. عبد السلام المسدي، (1984)، قاموس اللسانيات، مع مقدمة في علم المصطلح، دط، دار العربية للكتاب، (تونس)،
10. عبد العزيز حليلي، (1991)، اللسانيات العامة واللسانيات العربية، ط1، دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، (المغرب).
11. عبد القادر الفاسي الفهري، (1985)، اللسانيات واللغة العربية، دط، الدار البيضاء، (المغرب).
12. محمد داوود، (2001)، العربية وعلم اللغة الحيث، دط، دار غريب، القاهرة، (مصر).
13. مصطفى غلفان، (2006)، اللسانيات في الثقافة العربية الحديثة، حفريات النشأة والتكوين، ط1، شركة النشر وتوزيع المدارس، دار البيضاء، (المغرب).
14. مصطفى غلفان، (2010)، اللسانيات العامة، ط1، دار الكتاب الجدبدة، بيروت، (لبنان).
15. مصطفى غلفان، (2013)، اللسانيات البنيوية، منهجيات واتجاهات، ط1، دار الكتاب الجديد، بيروت، (لبنان).
16. نعمان بوقرة، (2009)، اللسانيات اتجاهاتها وقضاياها الراهنة، ط1، عالم الكتب الحديث، (لأردن).

المجلات:

عبد الرحمان حاج صالح، (1972)، مدخل إلى علم اللسان الحديث، مجلة اللسانيات، المجلد الثاني، العدد الأول، جامعة الجزائر.

رسائل جامعية:

عبد الحليم معزوز، (2017)، تأصيل اللسانيات العربية عند تمام حسان وعبد الرحمان حاج صالح، رسالة دكتوراه، جامعة باتنة 1/ الجزائر.